المبحث الثالث

موقف ابن عادل من خلق افعال العباد

يرى الامام ابن عادل ان افعال العباد الاختيارية هي بقدرة الله وليس للعبد تأثير فيها وهذا هو مذهب الاشاعرة والله تعالى خالق افعال العباد كلها بارادته ومشيئته وحكمه وقضيته وتقديره .

ويستدل ابن عادل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾[1] . فان المراد من هذا العذاب ، القتل والامر ، وظاهر هذا النص يدل على ان ذلك القتل والاسر فعل الله تعالى ، يدخله في الوجود على ايدي العباد[2] . واستدل بقوله تعالى :﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[3]. يقول ابن عادل دلت هذة الاية على ان العبد يضاف اليه أعمال واكساب ، وان كان الله تعالى ــ اقدره على ذلك ، وان كان خيرا فبفضله وان كان شرا فبعدله ، فالعبد مكتسب لأفعاله ، على معنى انه خلقت له قدرة مقارنة للفعل يدرك بها الفرق بين حركة الاختيار وحركة الرعشة مثلا ، وذلك التمكن هو مناط التكليف وهذا هو مذهب اهل السنة[4].

---

١ سورة التوبة : الاية :١٤
٢ ينظر : اللباب ٣٨/١٠
٣ سورة البقرة ، الاية ١٣٤
٤ ينظر : اللباب ٥١٤/٢ .

واستدل بقوله تعالى :﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[1]. **:(دلت هذه الاية على ان الكفر ، والإيمان من الله ، لان قوله :** ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ **، كفاية عن المعرفة ، والهدى ، وذلك يدل على ان هذه الأمور من الله تبارك وتعالى والدلائل العقلية ساعدت على صحة ذلك ، لأن العاقل لا يختار الجهل ، والكفر لنفسه ، فمن المحال ان يختار الانسان جعل نفسه كافرا جاهلا ، فلما قصد لتحصيل الايمان والمعرفة ، ولم يحصل ذلك ، وانما حصل ضده وهو : الكفر و الجهل ، علمنا أن ذلك بايجاد غيره)**[2] .

---

١ سورة الانعام ، الاية ٢٢ .
٢ اللباب ٤٠٩/٨ .

ردود ابن عادل على المعتزلة

يقول ابن عادل استدلت المعتزلة بقوله تعالى ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1] .

على ان الكفر من قبل العباد من وجوه :

احدها : أنه ــ تعالى ــ لو كان هو الخالق للكفر فيهم لما جاز ان يقول : ((كيف تكفرون بالله)) موبخا لهم ، كما لايجوز أن يقول : كيف تسودون وتبيضون وتصحون وتسقمون لما كان ذلك كله من خلقه فيهم .

وثانيها : اذا كان خلقهم اولا للشقاء والنار ، وما اراد بخلقهم الا الكفر وارادة الوقوع في النار ، فكيف يصح ان يقول موبخا لهم :(كيف تكفرون) ؟.

وثالثها : انه ــ تعالى ــ اذا قال للعبيد كيف تكفرون بالله ، فهذا الكلام اما ان يكون موجها للحجة على العبد ، وطلبا للجواب منه ، اوليس كذلك ، فان لم يكن لطلب هذا المعنى لم يكن في ذكره فائدة ، فيكون هذا الخطاب عبثا ، وان ذكره لتوجيه الحجة على العبد ، فللعبد أن يقول : حصل في حقي امور كثيرة موجبة للكفر .

فالاول : أنك علمت بالكفر مني ، والعلم بالكفر يوجب الكفر .

والثاني : أنك اردت الكفر مني ، وهذه الارادة موجبة له .

---

[1] سورة البقرة ، الاية: ٢٨ .

والثالث : أنك خلقت في قدرة موجبة للكفر .

والرابع : أنك خلقت في ارادة موجبة للكفر .

والخامس : أنك خلقت في قدرة موجبة للارادة الموجبة للكفر .

ثم لما حصلت هذه الاسباب الخمسة في حصول الكفر ، فالايمان متوقف على حصول هذة الاسباب الخمسة في طرف الايمان ، وهي بأسرها كانت مفقودة ، فقد حصل لعدم الايمان اثنا عشر سببا واحد منها مستقل بالمنع من الايمان ومع قيام هذه الاسباب الكثيرة كيف يعقل أن يقال : كيف تكفرون بالله ؟ وايات اخر تأتي في مواضعها ان شاء الله تعالى .

والجواب عن هذا أن الله ــ سبحانه ــ علم انه لايكون ، فان وجد لا نقلب عليه جهلا ، وهو محال ، ووقوعه محال ، وايضا فالقدر على الكفر ان كانت صالحة للايمان امتنع كونها مصدرا للايمان على التعيين الا لمرجح ، وذلك المرجح إن كان من العبد عاد السؤال ، وان كان من الله ، فلما لم يحصل ذلك المرجح من الله امتنع حصول الكفر ، واذا حصل ذلك المرجح وجب ، وعلى هذا يعقل قوله :(كيف تكفرون) قاله ابن الخطيب[1].

---

١ ينظر : اللباب ٤٨٢/١ .